

## الإشتراك اللفظي في أبحاث المحدثين

د. حارث مبین\*

The article focuses on the efforts of modern Arab philologists in phenomena of homonymy in Arabic language. The abundance of homonyms is closely connected with characteristic feature of the Arabic language as the phonetic identity of word and stem. Although, it is very small part of language but it accounts for a very important position in semantics and assist one in grasping the real concepts of words in its proper context. In this research paper, the ideas of modern Arab linguists have been analyzed in homonymy with their short introductions and their endeavors in philology, some prominent of these are as: al Shoukani, al Alosi, Muhammad Abduhu, Muhammad al Mubarak, Muhammad Hussain al Yasin , Ramadan AbduTawab, Ameel Badee Yaqoob, Ibraheem Anees , Ali Abul Wahid Wafi and Taufeeq Muhammad Shaheen etc.

إن البحث الدلالي في علاقته بالألفاظ من أشرف البحوث التي تناولها العلماء المسلمون القدامى و المحدثون في كتبهم، واهتدوا في دراستهم لها إلى نتائج يعتمد عليها في فهم النصوص الشرعية و استنباط الأحكام منها. إن الإشتراك اللفظي علامة واضحة في اللغة العربية وهو بكثرته خصيصة لها، وعامل من عوامل تمييزها. وقد تنبه العلماء له و أشاروا إلى شواهد، والمعاني التي تدور ألفاظه حولها. إن العلماء المحدثين قد أضافوا على أبحاث القدامى و أكدوا موقفهم خلال بحوثهم في الإشتراك اللفظي و اختلفوا فيها أحياناً. وأقدم آراء العلماء اللغويين المحدثين في الإشتراك اللفظي.

العالم الكبير من القرن الثالث عشر محمد بن علي الشوكاني صاحب كتاب "فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير" والذي يثبت فيه الإشتراك اللفظي في القرآن الكريم. وقد عالج الكلمات المشتركة في تفسيره مثل كلمة: الأمة والدعا والصلوة والشهادة وغير ذلك وقد جاء بالمعاني المختلفة لها وفصل القول فيها تفصيلاً. وأبو الفضل شهاب الدين سيد محمود الألوسي البغدادي من العلماء المحدثين وله تفسير معروف متداول بين الناس في كل مكان وقد سماه "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" وقد نص الألوسي على عدد غير قليل من الإشتراك اللفظي ونبه

\* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، جامعة بنجاب، لاهور

على معانيها المختلفة ونحضر بذكر منها كلمات: النكاح والدين والصلاة والرب وغير ذلك.

الأستاذ الكبير والعالم الجليل في العصر الحاضر الشيخ محمد عبده يثبت الاشتراك اللفظي وقد جمع ما أثبتها ودونها تلميذه السيد محمد رشيد رضا تفسيره القرآن الكريم الشهير "بتفسير المنار".

وقد تناول الشيخ محمد عبده عدداً كبيراً من الكلمات المشتركة وفصل القول في معانيها بأسلوبه الخاص المفيد ومنها على سبيل المثال كلمة "الأمة" التي يقول عنها الشيخ "تتطوق الأمة" في كتاب الله بمعنى الملة أي العقائد وأصول الشريعة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (1) بعد ما ذكر من شأن جماعة الأنبياء صلوات الله عليهم وكما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (2) وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (3) وقد رجح كثير من المفسرين أن المراد من الأمة في الآيتين العقائد وأصول الشرائع. أي أن جميع الأنبياء والرسول على ملة واحدة ودين واحد كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (4) وقال كثير منهم إن الأمة في هذه الآية بمعنى الجماعة كما في قوله تعالى ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (5) ولا تكون بمعنى الجماعة مطلقاً وإنما هي بمعنى الجماعة التي تربطها رابطة إجتماع يعتبرون بها واحداً، وتسوغ أن يطلق عليهم اسم واحد كاسم الأمة، وتكون بمعنى السنين كما في قوله تعالى: ﴿وَلَتُنْزِلْنَا أَمْثَلَهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ (6) وفي قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ (7) وبمعنى الإمام الذي يقتدى به كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ (8) وبمعنى إحدى الأمم المعروفة كما في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾ (9) وهذا المعنى الأخير لا يخرج عن معنى الجماعة على ما ذكرنا وإنما خصصه العرف تخصيصاً. (10)

الأستاذ محمد المبارك من العلماء الذين يعتقدون وجود الاشتراك اللفظي في اللغة العربية ويرى أن كثيراً من الألفاظ تدل على معان جديدة ومعان عامة وتستخدم في مسميات مختلفة تشترك في أكثر من معنى وعلى سبيل المثال كلمة "الدليل":

1. التي تستعمل لمن يدل على الطريق
2. كما تستعمل الحجة والبرهان
3. وأيضا تستعمل لمن يدل الحجيج على المناسك
4. وكما تستخدم في الكتب التي تطبعه دوائر السياحة في كل بلد للدلالة على معاملة (11).

الدكتور علي عبد الواحد الوائى يعتقد بوجود المشترك اللفظي في اللغة العربية والقرآن الكريم ورأى أن الكلمة تشتمل على معان كثيرة وتطلق عليها على سبيل الحقيقة لا المجاز.

وقد ذكر كلمة: الخال فوجد أنها تطلق على أكثر من معنى حقيقي.

1. فقد تطلق على أخ الأم
  2. والشامة في الوجه
  3. والبعر الضخم
  4. والسحاب
  5. والأكمة الصغيرة
- وقد ذكر الدكتور وائى كلمة "الانسان" في معان مختلفة وهي:

1. تطلق على كل واحد من بني آدم
2. وناظر العين
3. والأثملة
4. وخذ السيف
5. والسهم

وقد سرد كلمة أخرى وهي "الأرض" لها معان كثيرة وهي:

1. تطلق على واحد ما يقابل السماء
2. والنفضة
3. والرعدة
4. والزكام

وإتضح لنا أنهما فريقان، فريق ذهب إلى الإثبات وفريق ذهب إلى الإنكار. وحسب الدكتور وافي أن كلا الفريقين إنحرف عن جادة الحق. وعند الوافي من العسير إنكار المشترك تماما وتأويل جميع أمثلة. وما ورد في مبلغ المشترك بنسبه الهلال، وهو أنه يؤيد الاشتراك تأييدا، ويقول أن الأمثلة نقلت عن معناها الأصلية إلى مجازية أخرى علاقة ما. ويفسر موقفه من كلمة الهلال ويستخدمها في المعاني الكثيرة ولو كان فريق يدعي فيها المجاز لوضوح علاقة التشابه بينها وبين هلال السماء. وإليكم أمثلة إستخدام كلمة الهلال في كتابه:

1. الهلال يطلق على هلال السماء
2. وعلى الصعيد
3. وعلى النعل (ذؤابته المشبهة للهلال)
4. وعلى الأصبع المطيف بالظفر
5. وعلى الحية إذا سلخت
6. وعلى الجمل الهزيل من كثرة الضراب
7. وعلى باقي الماء في الحوض

وكل ما فهمنا من ذلك. أنه قد فشا استخدامه في البيئات فلم ينظر إلى شئ من المجاز وصار إطلاقه عليها قوة إستخدام الشئ في حقيقته. وهذا ما رأى الدكتور وافي في الاشتراك اللفظي الحقيقي في اللغة العربية. (12)

وإعترف الأستاذ إبراهيم أنيس المشترك اللفظي وهو أنه يؤيد الاشتراك إذا لم يوجد أي صلة بين معنيين والأمثلة التي فيها الاشتراك الحقيقي وهي قليلة بل نادرة معدودة على أصابع اليد، عنده. والكلمات التي يقبل فيها الأستاذ إبراهيم أنيس الاشتراك اللفظي بدون تحفظ وهي مختلفة الصورة والمعنى ثم تطورت فاشتركت في الصور واختلفت في المعنى وأتي بكلمات منها: حربه حربا سلبه ماله، وحرب حربا اشتد غضبه. والكلمة الأولى أصلها حرم ثم قلبت الميم باء في لهجة من اللهجات العربية وأصبحت فعلا واحدا.

وذلك ما أثبت به الاشتراك اللفظي بتحفظاته وكما مزج بين المنهجين التاريخي والوصفي وإن كان قد اقتصر على أحدهما فما كان من المترددين فذلك أن كل فريق نظر إلى الكلمات ومعانيها من زاوية خاصة والفريق الذي تأول أمثلة المشترك على أنها كلها من

الحقيقة والمجاز، قد نظر إليها نظرة تاريخية وأما الآخرة فنظرته وصفية تزامنية وذاتك المنهجان: التاريخي والوصفي الزمني الذان احتلطا عنده، فضعفت رأيه واتفقت رأيه الدكتور علي عبدالواحد وافي مع الأستاذ إبراهيم أنيس إلى حد ما التي تظهرت في كتابه "في اللهجات العربية"، (13) و"حين تمر الأيام على تلك المجازات، يكثر استعمالها، لا تلبث أن تنسى الناحية المجازية فيها، تصبح معانيها حقيقية والبحث عن المجازات المنسية أمر ليس باليسير لأنه يتطلب التوغل في العصور التاريخية للبحث عن نصوص قديمة فيها إستعملت الكلمات بشكل مجازي واضح أو يتطلب عن تاريخ الحياة الاجتماعية لأمة الأمم لنستطيع الوصول إلى أن المعنى يبدو لنا الآن حقيقيا". (14)

الإمام المفسر محمد جمال الدين القاسمي يثبت الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم. يشير الإمام الى عدة معان لكلمة "الجبل" وهي:

1. العهد: نحو قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ (15) كما في قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾ (16) القرآن: كما ورد في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ألا وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله هو جبل الله من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة...".

2. العرق. (17)

المفسر الجليل والعالم الكبير محمد عزة دروزة يؤيد بالاشتراك اللفظي وقد عالج الأستاذ محمد عزة كلمة "الرب" ولها معان مختلفة وهي:

1. المعبود

2. والرئيس

3. وصاحب الشيء

4. والسيد (18)

صاحب التفسير الكاشف المفسر الكبير محمد جواد مغنية يؤمن بالاشتراك

اللفظي في القرآن الكريم ويشير إلى كلمة "الرب" أنها كلمة مشتركة. ولها معان مختلفة:

1. السيد المالك، وكل من المعينين يصح ارادته هنا، ولكن معنى الخالق هو المتبادر من لفظ هذه الآية الكريمة (19) أي ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (20) قد عالج الأستاذ الشهير الدكتور محمد محمود حجازي الكلمات المشتركة في تفسيره: التفسير الواضح، وهو يشير إلى كلمة " الحبل " والمراد منها:

1. الإيمان

2. الطاعة

3. القرآن: لقوله صلى الله عليه وسلم "القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد". (21)

وقد أشار إلى كلمة "الكوثر" ولها معنيان مختلفان:

1. الشئ الكثير قيل الأعرابية رجع ابنها من سفر. بم رجع ابنك؟ فقالت: رجع بكوثر

2. قيل هو نحر في الجنة. (22)

المفسر الكبير الشيخ إبراهيم القطان يعتقد أن الاشتراك اللفظي واقع في القرآن الكريم وقد فسر الكلمات المشتركة في تفسيره: تيسر التفسير "وهو يقول لكلمة "الرب" والرب في كلام العرب له ثلاثة معان:

1. السيد المطاع

2. والرجل المصلح الشئ

3. والمالك الشئ. (23)

قال أيضا: للفظ "الدين" معان كثيرة، منها:

المكافأة والعقوبة. (24)

الأستاذ محي الدين الدرويش من المثبتين بالمشترك اللفظي وقد عالج الكلمات المشتركة في كتابه "إعراب القرآن وبيانه" ومنها: الحمد، والحبل وغير ذلك. نوضح الكلمة "الدين" كما فسر الأستاذ الدرويش:

1. الجزء ويوم الدين: يوم الجزاء ومنه قول العرب: "كما تدين تدان" وقول الشاعر:

ولم يبق سوى العدو  
ن دناهم كما دانوا

2. الطاعة: نحو قوله تعالى: ﴿ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾ (25)

3. الملة: قال المثقّب العبدى:

تقول إذا درأت لها وضيّفي أهدا دينه أبدا وديني (26)

يتحدث المؤرخ الكبير والعالم الجليل مصطفى الصادق الرافعي في كتابه: "تاريخ آداب العرب" أن المشترك عكس المترادف، لأنه مجيئ اللفظ الواحد لمعنيين فأكثر: كالأرض لهذا البسيط، ولأسفل قوائم الدابة، وللقفظة والرعدة، وللزكام، وأرض الخشبة، وهو أن تأكلها الأرضة. وهذا لا شك في أن مأتاه من تعدد الوضع وتباين اللغات، لأن الألفاظ متناهية والمعاني لا تتناهي، فإذا وزعت هذه على تلك لزم الاشتراك واختصاص اللفظ الواحد بمعنيين أو أكثر. والقسم الأكبر من المشترك كلمات معدودة، أشهرها ما يتعلق عليه شعراء المتأخرين، وجملة ذلك خمسة ألفاظ وهي: العين، والخال، والهلل، والغرب، والعجوز.

وقد توسع المتأخرون من الشعراء في معاني هذه الكلمات لتبلغ بما أنفاس القواري. لا جرم أن الاشتراك وجه من وجوه الوضع في اللغة، فإن أكثره راجع إلى الإتفاق والمجاز كما يقول مشى من المشي، ومشى إذا كثرت ما شيته، وكما نقلوا من أسما الطير لأجزاء الفرس، فسموا العظيم الذي في أعلى رأسه بالهامة وهو اسم طائر، وسموا دماغه الفرج، والجلدة التي تغطي الدماغ بالنعامة، والعظم الذي تثبت عليه الناصية بالعصفور.... الخ وهي عشرون إسما. (27)

الأستاذ عباس أبو السعود من الأساتذة الذين يثبتون الاشتراك اللفظي في اللغة والقرآن الكريم وهو يشنكي إهمال بعض المثقفين الذين يستعملون اللفظ بمعنى واحد وهو المشهور حتى من هي مهنتهم ويعبر عنه قائلًا: "لهذا رأيت من واجبي أن أقوم بنصبي في سد هذه الثلمة وتذليل تلك العقبة" ورأى أبو السعود في تعدد المعنى وكثرتها نداء لمحصولهم اللغوي.

ويصف عباس أبو السعود الباحثين أن تحصيل معاني الألفاظ وحفظها مع فهم ثاقب ولب راجع وقرينة صافية ومن الكلمات المشتركة التي استعملها في تأييده منها: الثناء مقصور على الخير وفي الشر مثلا: أثنت على فلان خيرا وبخير وأثنت على غيره شرا بشر. وضرب لنا مثلا آخرًا: كلمة "السيارة" على معنى تلك الآلة التي تحمل الناس

وأنقأهم من مكان إلى آخر والحق أن لها معنى آخر هو القوم أو القافلة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَلْفُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجَبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ (سورة يوسف: 10) (28)

الأستاذ محمد السيد الداودي يؤمن بالاشتراك في القرآن الكريم وقد صنف بحثاً: "المشترك اللفظي في القرآن الكريم" في كتابه من كنوز القرآن. وأورد أكثر من سبعين لفظاً مشتركاً في هذا البحث. وهنا نقدم كلمة واحدة من مختاراته وهي: "العبد" لها أربعة:

1. الأمان: نحو قوله تعالى: ﴿فَأَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾ (29)
2. اليمين: نحو قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ (30)
3. الوصية: نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ (31)
4. الزمن: نحو قوله تعالى: ﴿أَفْطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ﴾ (32)

العالم العراقي محمود شيث خطاب من المبتدئين بالاشتراك اللفظي وهو الذي صنف كتاباً في "المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم" ويشير في كتابه إلى الكلمات المشتركة مثل "الخال" لها معان كثيرة:

1. الغيم ، 2. والبرق، 3. الكبر، 4. واللواء يعقد للأمير، 5. والشامة ، 6. والجبل الضخم
7. والبعر الضخم وجمعه: خيلان، وأخيلة. (33)

كان الدكتور صبحي الصالح مشغولاً بالاشتراك اللفظي ومؤيداً له وهو يقول: "ما دام فقهاء اللغة يقررون أن الكلمة يكون لها من المعاني بقدر ما لها من الإستعمالات ومثل اللغة العربية عنده كمثال سائر اللغات فيها ألفاظ مشتركة. ويدور الإختلاف بين أصحاب الاشتراك والمنكرين وكما أن الأصمعي والخليل وسيبويه توسعوا في إيراد الأمثلة على المشترك اللفظي في شواهد عربية لا سبيل إلى الشك فيها، فإن طائفة من العلماء القدامى ترى في تلك الأمثلة وشواهد مصادفات محضة. وذكر صبحي الصالح دو رتداخل اللغات في استعمال الألفاظ المشتركة وأنه يعد أبا علي الفارسي من المعتدلين، لا يغالي فيها في إنكار الاشتراك مغالاة ابن درستويه ومبالغة الفريق الأول وهو يقول: "إتفاق لفظين واختلاف المعنيين ينبغي أن لا يكون قصداً في الوضع واختلاف المعنيين ينبغي ألا يكون

قصدا في الوضع ولا أصلا ولكنه من لغات تداخلت، أو أن تكون اللفظ تستعمل لمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتصير بمنزلة الأصل". (34)

ونورد كلمة "الغروب" من مختارات الدكتور صبحي الصالح في ثلاثة أبيات يستوي لفظها ويختلف معناها:

يا ويح قلبي من دواعي الهوي	إذ رحل الجيران عند الغروب
أتبعتهم طرقي وقد أزمعوا	ودمع عيني كفيض الغروب
كانوا وفيهم طفلة حرة	تفتت عن مثل أقاحي الغروب

فليس متعذرا أن يفهم من وحي السياق أن الغروب الأول: غروب الشمس، والثاني جمع غرب: وهو الدلو العظيمة المملوءة، والثالث جمع غرب: الوهاد المخفضة. (35)

الدكتور إميل بديع يعقوب يؤمن الاشتراك اللفظي في اللغة وهو يقول: "كل كلمة لها عدة معانٍ حقيقية غير مجازية" فهو لفظ مشترك. ثم يشرح أن الاشتراك اللفظي، ظاهرة لغوية موجودة في معظم لغات العالم، ومن التعسف إنكار وجودها في اللغة العربية، وتأويل جميع أمثلتها تأويلا يخرجها من هذا الباب. ففي بعض شواهد لا نجد بين المعاني التي يطلق عليها اللفظ الواحد أي رابطة تسوغ هذا التأويل. وقد كان له عند اصحاب البيدع، وبخاصة المتأخرون، مكانه مرموقة، فلولا ما راجت سوق التورية والاستخدام والجناس التام وطرق التعمية والإبهام. وقد أعاد إميل بديع يعقوب سبب الاشتراك اللفظي في اللغة العربية إلى عوامل عدة منها: اختلاف اللهجات العربية القديمة والتطور الصوتي وانتقال بعض ألفاظ من معناها الأصلي إلى معانٍ مجازية أخرى لعلاقة ما والعوارض التعريفية. (36)

ولنا أن نفرغ إلى موقف الدكتور رمضان عبدالنواب من المشترك اللفظي وإتيانه بأمثلة من اللغات الأخرى مثل الإنجليزية والفرنسية وكثيرا ما ورد من مقاله يشبه بمقال الأكثرين من المثبتين لظاهرة الاشتراك اللفظي في اللغة العربية.

وذكر العوامل التي لعبت دوراً هاماً في تكوين المشترك في اللغة العربية منها الاستعمال المجازي واختلاف اللهجات واقتران الالفاظ من اللغات المختلفة. ومن الأمثلة التي أوردها في الاستعمال المجازي، تنوسيت المجاز وصار المعنى حقيقيا بقوة إستعمالها في

المجتمع: كلمة عين تدل على عضو الأبصار سواء في الإنسان والحيوان، والمال الحاضر والجانوس وريثة الجيش وخيار الشيء. وكذلك اللهجات العربية لها دور كبير في نشأة المشترك وحسب لهجات كثيرة لا نقطع القول بأن الكلمة قد استعملت في بيئة معينة لأن اللغويين لم يخبرونا أية بيئة معينة لكلمة إلا في القليل كيف يدرك المء كلمة العجوز كثيرة المعاني كانت تستخدم في العربية في بيئة واحدة. والحقيقة أن القبائل المختلفة التي كانت تعيش في مناطق مختلفة وبيئات مختلفة استخدمت الكلمة حسب ظروفها وأحوالها فهذه الظروف والأحوال المختلفة لها حظ كبير في تكوين المشترك.

قد روى لنا أبو زيد أن قبيلة تميم كانت تطلق كلمة "الألف" على الأعرس، وهو الذي يعمل بيده اليسرى أما قبيلة قيس فكانت تطلق هذه الكلمة على الأحمق. وقد إقتضوا الألفاظ من اللغات المختلفة لعل الكلمة المتقرضة تشبه في لفظها كلمة عربية، ولكنها ذات دلالة مختلفة فاللغة العربية استعارت من الألمانية كلمة كلب "Kalb" بمعنى عجل فأصبحت الكلمة في العربية من الكلمات المشتركة اللفظي، تدل على الكلب الذي نعرفه وعلى العجل.

وقد إتسعت مجال البديع بوجود كثرة المشترك اللفظي في اللغة وأعان الكتائبيين والشعراء في تكوين الظاهرة التورية التي عبارة عن استخدام الكلمات المشتركة في معان غير متبادرة منها. وأيضاً استفاد منه بعض الناس حيلة للخروج من الضيق. وقد إهتم بجمع أربع مائة كلمة، ابن دريد في كتابه الملاحن، ظن فيها الإشتراك اللفظي.

وكما يتبين لنا الدكتور رمضان عبدالنواب ظاهرة التورية استخداما الكلمة "الحاجة" يقول أحد: والله ما سئلت فلانا حاجة قط. فإنه يقصد في نفسه من حاجة معني آخر غير الدائع لهذه الكلمة والحاجة ضرب من الشجر له شوق وهنا هو المعنى الغامض. (37)

الأستاذ الدكتور محمد خضر يثبت الإشتراك اللفظي في اللغة العربية وهو يجد تعريف المشترك أن اللفظ الدال على معنيين فأكثر دلالة مستوية كإنسان: للفرد من البشر، ولإنسان العين، وهو الذي يتم عملية الأبصار وغير ذلك. (38)

وكثير من المشترك اللفظي يوجد في الأسماء غير أننا نجد المشترك في الحروف والفعل والمضارع وكذلك أشار الدكتور محمد خضر إلى هذا الأمر وأكد السماع عن العرب

فإنه يجد لها أثرا كبيرا في ثبوت المشترك ويفسر عنه بإستخدام الحرف "من" بعدة معان: للإبتداء، وليبان الجنس، ولتبعيض وفيما رأى إشتراكا في المضارع، الحال والاستقبال. (39)

العالم الجليل الدكتور عبدالحميد الشلقاني من المشتين في الاشتراك اللفظي وقد عالج الدكتور الشلقاني كلمات مشتركة في كتابه "مصادر اللغة" وهنا نضرب لكم مثلا أن كلمة "الضرب" لها معاني مختلفة وهي:

1. الضرب: باليد، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ (40) وكنحو قوله تعالى: ﴿وَاهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُمْ﴾ (41)
2. الضرب: المسير: نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (42) كقوله تعالى: ﴿وَآخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (43)
3. والضرب: التبيين والوصف: نحو قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ (44) وكقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ (45)

وقد صرح الشيخ قاسم القيسي الكلمات المشتركة في كتابه "تاريخ التفسير" وهو من العلماء الذين يشتون الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم واللغة العربية كذلك. وقد عالج عدة كلمات مشتركة منها: كلمة "الصريم" لها معان متنوعة:

نحو قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ (46) فيه أربعة أقوال:

1. أصبحت كالليل لأنها أسودت لما أصابها، والصريم في اللغة الليل
2. أصبحت كالنهار لأنها أبيضت كالحصيد ويقال مريم لليل والنهار
3. الصريم الرماد الأسود بلغة بعض العرب
4. أصبحت كالمصرومة أي المقطوعة. (47)

وهناك كلمة أخرى لها أربعة معان وهي "الحرد":

نحو قوله تعالى: ﴿وَعَدَّوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ (48)

1. المنع ، 2. القصد ، 3. الغضب ، 4. الحرد إسم الجنة (49)

وأشار الشيخ إلى كلمة مشتركة "القرؤ" لها معنيين مختلفين:  
 ونحو قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (50) جمع  
 قرء (بفتح القاف وضمها) فإنه مشترك بين الطهر والحيض.  
 ونحو كلمة "عسعس" من قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (51) بمعنى أدبر  
 ظلامه، أو أقبل، فمن الأول قول القائل:

حتى إذا الصبح لها تنفسا      وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقيل كونه بمعنى أقبل في قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (52) فإنه أول  
 النهار فيناسب أول الليل وهنا نأتي بمائل آخر من الشيخ قاسم القيسي وهو "الغابر" نحو  
 قوله تعالى: ﴿فَأَعْيَبْنَاهُ وَأَهْلَاهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (53) أي من الذين بقوا في  
 ديارهم فهلكوا، ويأتي "الغابر" في اللغة بمعنى:

1. المقيم ، 2. الباقي كقوله الهذلي: فغيرت بعدهم بعيش ناصب
2. الماضي 3. الذاهب (54)

و قد أورد أحمد حسن الباقوري كلام الآمدي وظن بكونه مؤيد الاشتراك في  
 اللغة العربية إتفق مع حده وهو "أن يتفق وضع إحدى القبلتين للاسم على  
 معني ووضع الأخرى له بإزاء معنى آخر من غير شعور لكل واحدة بما وضعته  
 الأخرى ثم يشتهر الوضعان ويخفي سببه".

فقبيلة تضع اللفظ لمعنى وقبيلة أخرى تضعه لمعنى آخر، وتضع قبيلة ثالثة وينتقل  
 هذا اللفظ من المتقدمين إلى المتأخرين نأتي مثلاً كلمة "عين" للنقد وللجراحة المخصوصة  
 وللحاسوس وهكذا تنتشر كلمة "عين" دالا على كل من هذه المعاني.

وكما ذكر الباقوري من أسبابه الاجتماع والإختلاط كان ذلك أولى إلى كثرة  
 الألفاظ المشتركة ومما لا شك فيه أن عرب الشمال وعرب الجنوب لغاتها متخالفة فهذه  
 تميم تقول السدفة وتعني بها الظلمة بينما تقولها قيس وتريد الضوء وعلى مر الزمن أصبح  
 القيسي يفهم من السدفة الظلمة والضوء معا. وكذلك تميمي.

قد جاء القرآن بالألفاظ المشتركة كما قال الأستاذ أحمد حسن الباقوري ورأى  
 الأستاذ أن عصر تدوين العلوم جعل الرواة يردون على المنهل من أنحاء الجزيرة وخارجها

وكان غرفهم وهي الأخذ عن أهلها الذين لم تفسد ملكاتهم فبسبب هذه الكثرة والاختلاط في الجزيرة العربية تكونت اللغة المشتركة وبينهم وتبادلوا كلماتهم وألفاظهم بينهم واندرجت كلها تحت إسم شامل وهو اللغة العربية. فلا نرى حاجة إلى القول بأن نبين هناك أسباب أخرى للاشتراك مثل الأسواق العربية الجاهلية. (55)

المفسر الجليل أحمد مصطفى المراغي من المتبتين للاشتراك اللفظي وقد عالج

كلمة "اللباس" التي لها معان مختلفة:

1. نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

﴾ (56) اللبس بالفتح الخلط أي لا تخلطوا الحق بالباطل. (57)

2. نحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ (58) أي وجعلنا الليل بظلامه ساترا

للأجسام ومغطيا لها كاللباس الذي يغطي الجسم ويستتره.

ولله در المتنبي:

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر أن المانوية تكذب (59)

صاحب "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج" الدكتور وهبة الزحيلي يؤمن

بالاشتراك اللفظي في القرآن الكريم وهو يشرح كلمة "الرب" وعنده معان عديدة لهذه

الكلمة منها:

1. الملك ، 2. والسيد المعبود، 3. والمصلح ، 4. والمدبر، 5. والجار ، 6.

والقائم

وفي هذه الكلمة معني الربوبية والتربية والعناية بالمخلوقات. (60)

المفسر الجليل من العصر الحاضر وصاحب "الأساس في التفسير" سعيد حوي

يؤمن بالاشتراك اللفظي في القرآن الكريم. عند سعيد حوي كلمة "الدين" كلمة مشتركة

لها معان مختلفة:

1. نحو قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (61) أي يوم الجزاء (62)

2. نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ﴾ (63) أي إن الله أعطاكم

الدين الذي هو صفوة الأديان وهو دين الإسلام (64)

3. نحو قوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (65) أي واعبدوه مخلصين له الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا (66)

العالم الكبير محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي يثبت الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم. وقد أشار الشنقيطي إلى الكلمات المشتركة في القرآن الكريم وهو يقول أن كلمة "الأمّة" لها أربع معان في القرآن:

1. نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَيْنَ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ (67) أي البرهة من الزمن (68)

2. نحو قوله تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْتُنُونَ﴾ (69)

3. كقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾ (70) أي الجماعة (71)

4. نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ (72) أي استعمال "الأمّة" في الرجل المقتدي به (73)

5. نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ (74) أي الشريعة والطريقة (75)

العالم الكبير محمد جمال الدين القاسمي يؤمن بالاشتراك اللفظي في اللغة العربية والقرآن الكريم. وقد عالج عدة كلمات مشتركة في كتابه: "تفسير القاسمي المسمي محاسن التأويل" ككلمة "الرب"، (76) والسلام (77) وغير ذلك.

وها هو العالم العراقي الكبير من اللغويين المحدثين الأستاذ محمد حيسن آل ياسين صاحب كتاب "الأضداد في اللغة" ساهم مساهمة كبيرة لإمطة الغشاء عن ظاهرة الاشتراك اللفظي في اللغة العربية وبين رأيه قائلا: حينما يتداول هذا المعنى الذي أجم به عن المعنى الحقيقي، ويشيع، ويصبح من المعاني التي تنصرف إليها الكلمة انصرافا حقيقيا، وتصبح الكلمة على هذا من المشترك حتى كانت الألفاظ المشتركة مادة صالحة للتورية والتجنيس عند المشغوفين بالمحسنات اللفظية والبديعية. (78)

وقد ذكر آل ياسين موقفا من المحدثين ومذاهبهم شتى حيث قالوا إن أكثر الألفاظ المشتركة كان سببها التطور الصوتي الذي طرأ عليها، ومع مر الأيام والليالي يترتب على كلمة ما أطوار صوتية ثم يصادف عليها الاشتراك متحد اللفظ ومختلفة المدلول. وبيننا

أن قد ذكرنا رأي اللغويين في عدم أي صلة بين الكلمتين المشتركتين، وحيث ذكر آل ياسين موقف من المحدثين بالعكس وحلله بأن الروابط المشتركة بين الكلمات ربما تلمح سلبية أو إيجابية. وفسر الأمر بذكر الكلمة الليث بمعنى الأسد، وضرب من العنكبوت، واللسن البليغ، كلها مختلفة فوجدنا فيها اضطرابا كبيرا، وقرروا: "من التعسف حينئذ أن نعد مثل هذا من المشترك اللفظي الذي يشترط وضوح العلاقة بين المعنيين كالإنتقال من الحقيقة إلى المجاز أو التطور المعقول والمقبول في المعنى وغير ذلك من عوامل المشترك اللفظي. (79) وقد تبين موقف آل ياسين من المشترك عندما دافع عن اللغويين القدامي كالأصمعي وأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي وأبي العميثل، إتهام محاكات الهنود فيما صنعوا فيما رصدوا لظاهرة المشترك في اللغة.

مهما يكن من الأمر، فإن فيه توسعا وتنوعا في استعمال القدر الكبير من الألفاظ المشتركة والمترادفة، وقد نمت بهما نموا كثيرا على صعيدي الألفاظ والدلالة. (80) الأستاذ الدكتور توفيق محمد شاهين إمام من الأئمة في العصر الحاضر الذين يشبثون وجود الاشتراك اللفظي في اللغة العربية والقرآن الكريم. وقد ألف الدكتور شاهين كتابا في مجال الاشتراك اللفظي وسماه: "المشترك اللغوي نظرية وتطبيقا". وعالج في هذا الكتاب هذه الظاهرة معالجة حسنة. ورد الأستاذ شاهين موقف المنكرين للاشتراك اللفظي قائلا: "أن المشترك على خلاف الأصل، ولكنه ورد بأساليب فصيحة لا سبيل إلى إنكارها، وسواء ورد من واضع واحد أو من واضعين، أو بسبب اختلاف لهجات القبائل، أو النقل والمجاز من لغة واحدة أو لغتين ثم مات المجاز، أو بسبب تطور صوتي. (81) وقد أشار الأستاذ شاهين إلى كثير من علماء اللغة الذي حكموا بوقوع الاشتراك اللفظي في لغتنا، واطبقوا على ذلك ويقوي هذا لاحكم شهادة النحاة، وقد إستعمل الأدباء الاشتراك، وشرحه العلماء ورواية أمهات الكتب... فلا سبيل إلى إنكاره. ولكن أسرف بعض المجوزين له بلا ضابط ولا رابط وبغير روية وإمعان... فقد أسرف المانعون في القول بمنعه وعدم وقوعه في لغتنا.

ثم يشير الأستاذ شاهين إلى: الحل إذن هو التوسط: فلا مغالاة ولا إنكار، يعني الاعتدال هو الحل الوسط، وقد رضى ذلك كثير من العلماء المحدثين، لأن الظاهرة شائعة في لغتنا. (82)

وعند توفيق محمد شاهين المشترك واقع ملموس، وحقيقة لا خيال، وكثير لا قليل: فإذا ما ذكرت المعاني العديدة للفظ الواحد نحمد الله على ذلك. (83)

مفسر القرآن الكريم السيد عبدالله شبر (المتوفى 1242هـ) من العلماء الذين يثبتون الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم. وعلى سبيل المثال تأتي بمثال واحد من تفسيره:

"تفسير القرآن الكريم". وهي كلمة "الكوثر" لها معاني مختلفة:

- 1- العلم
- 2- والنبوة
- 3- القرآن
- 4- والشفاعة
- 5- شرف الدارين

6- نحر في الجنة وهو حوض النبي صلى الله عليه وسلم. (84)

و في مسك الختام ، إن القرآن الكريم يطالب منا الفهم و الإدراك لكي يكون قارئ القرآن الكريم على معرفة من القرآن الكريم ويمهد طريقه إلى الفلاح و الصلاح فلا يمكن الفهم والبحث عن مطالب القرآن و معانيها إلا بالعناية على ناحية لغوية و دراسات عميقة.

نزل الله القرآن باللغة العربية و منذ ذلك الحين ارتبطت اللغة العربية بالقرآن الكريم. وخرجت من نطاق اللغات الأخرى، يقول الدكتور رمضان عبدالنواب: " لو لا القرآن لما كانت العربية" (85)

و عصارة جهدنا في اختيار المشترك اللفظي و هذا ما تنادي به فقه اللغة و هو أن نستخدم كلمة ما في المكان المناسب لها و اللائق بها.

### الهوامش

- 1- سورة الأنبياء: 92
- 2- سورة المؤمنون: 51
- 3- سورة المؤمنون: 52
- 4- سورة آل عمران: 19
- 5- سورة آل عمران: 104
- 6- سورة هود: 8
- 7- سورة يوسف: 45
- 8- سورة النحل: 120
- 9- سورة آل عمران: 110
- 10- رضا، محمد رشيد: تفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ج:2، ص: 286.

- 11- محمد المبارك : فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1968م. ص: 198
- 12- وائي، علي عبدالواحد: فقه اللغة، دار نهضة مصر للطبع و النشر، القاهرة، ص: 189-190
- 13- أنيس، الدكتور إبراهيم: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السادسة، 1984م، ص: 184
14. المرجع السابق
- وأنيس، الدكتور إبراهيم: دلالة الالفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة، 1980م، ص: 209-210
- 15- سورة آل عمران: 103
- 16- سورة آل عمران: 112
- 17- القاسمي، محمد جمال الدين: تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، تحقيق و تخريج محمد فؤاد عبدالباقي، دارالفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1987م. ج: 4، ص: 170-171
- 18- دروزة، محمد عزة: تفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، 1962م، ج: 1، ص: 17
- 19- مغنية، محمد جواد: تفسير الكاشف، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1968م.
- 20- سورة الفاتحة: 1
- 21- حجازي، الدكتور محمد محمود: التفسير الواضح، دار التفسير ، القاهرة، الطبعة العاشرة، 1980م. ج: 1، ص: 10
- 22- المرجع السابق، ج: 3، ص: 30، 85
- 23- القطان، الشيخ إبراهيم، تيسير التفسير، راجعه و قام بضبطه و الإشراف على طباعته عمران أحمد أبو حجلة، الطبعة الأولى، 1987م. ص: 40
- 24- المرجع السابق، 42
- 25- سورة يوسف: 76

- 26- الدرويش، محي الدين: اعراب القرآن وبيانه، مؤسسة الإيمان، الطبعة الثانية، 1983م. ج:1، ص:13
- 27- الرفاعي، مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، 1974م. ج:1، ص:193
- 28- أبو السعود، عباس: شمس العرفان بلغة القرآن، دار المعارف، القاهرة، مصر. ص:223
- 29- سورة التوبة: 4
- 30- سورة النحل: 91
- 31- سورة آل عمران: 183
- 32- الداودي، محمد السيد: من كنوز القرآن، دار المعارف، القاهرة، 1973م. ص:47
- 33- خطاب، محمود شيث: المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم، دار الفتح للطباعة و النشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1966م. ج:1، ص:229
- 34- صبحي الصالح، الدكتور: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة، بيروت، 1982م. ص: 300-307
- 35- المرجع السابق، ص: 308
- 36- يعقوب، إميل بديع: فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1978م. ص: 178-181
- 37- عبدالنواب، الدكتور رمضان: فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي ، القاهرة، الطبعة الثانية، 1980م. ص: 326-334
- 38- محمد خضر: فقه اللغة، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة خاصة، 1981م. ص:280
- 39- المرجع السابق، ص:280-282
- 40- سورة محمد: 4
- 41- سورة النساء: 34
- 42- سورة النساء: 94
- 43- سورة المزمل: 20
- 44- سورة النحل: 112
- 45- سورة النحل: 74
- 46- الشلقاني، الدكتور عبدالحميد: مصادر اللغة، ص: 43
- 47- القيسي: الشيخ قاسم: تاريخ القرآن، مطبعة المجمع العلمية العراقية، 1966م. ص:31

- 48- سورة القلم: 25      49- المرجع السابق
- 50- سورة البقرة: 228      51- سورة التكوير: 18
- 52- سورة التكوير: 18      53- سورة الأعراف: 83
- 54- المرجع السابق، ص: 32-33
- 55- الباقوري، أحمد حسن: أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، دار المعارف، القاهرة. ص: 70-67
- 56- سورة البقرة: 42
- 57- المراغي، أحمد مصطفى: تفسير المراغي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ. ج: 1، ص: 79-98
- 58- سورة النبأ: 10
- 59- المراغي، أحمد مصطفى: تفسير المراغي، ج: 30، ص: 8
- 60- الزحيلي، الدكتور وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1991م.
- ج: 1، ص: 56
- 61- سورة الفاتحة: 3
- 62- حوي، سعيد: الأساس في التفسير، دار السلام، الطبعة الأولى، 1985م. ج: 1، ص: 41
- 63- سورة البقرة: 132
- 64- حوي، سعيد: الأساس في التفسير، ج: 1، ص: 277
- 65- سورة الأعراف: 29
- 66- حوي، سعيد: الأساس في التفسير، ج: 4، ص: 1886
- 67- سورة هود: 8
- 68- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، 1995م. ج: 2، ص: 174
- 69- سورة القصص: 23      70- سورة يونس: 47
- 71- المرجع السابق      72- سورة النحل: 120

- 73- المرجع السابق 74- سورة الزخرف: 22
- 75- المرجع السابق
- 76- القاسمي، محمد جمال الدين: محاسن التأويل، تحقيق و تخريج محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية، 1987م. ج: 1، ص: 8
- 77- المرجع السابق، ج: 2، ص: 173
- 78- آل ياسين، محمد حسين: الأضداد في اللغة، مطبعة المعارف، بغداد. الطبعة الأولى، 1974م. ص: 47
- 79- آل ياسين، محمد حسين: الأضداد في اللغة، ص: 48-49
- 80- المرجع السابق، ص: 88
- 81- شاهين، الدكتور توفيق محمد: المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً، مكتبة وهبة، القاهرة ، الطبعة الأولى 1980م. ص: 70
- 82- المرجع السابق، ص: 70-71
- 83- المرجع السابق، ص: 105
- 84- شبر، السيد عبدالله: تفسير القرآن الكريم، ص: 567
- 85- عبدالنواب، الدكتور رمضان: فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1980م. ص: 108

\*\*\*\*\*